مذكرات سوزان جيل ليفين.. اختبار العالم عبر الترجمة

كتب أمل فارس

05 يناير 2026 | آخر تحديث: 08:33 (توقيت القدس)

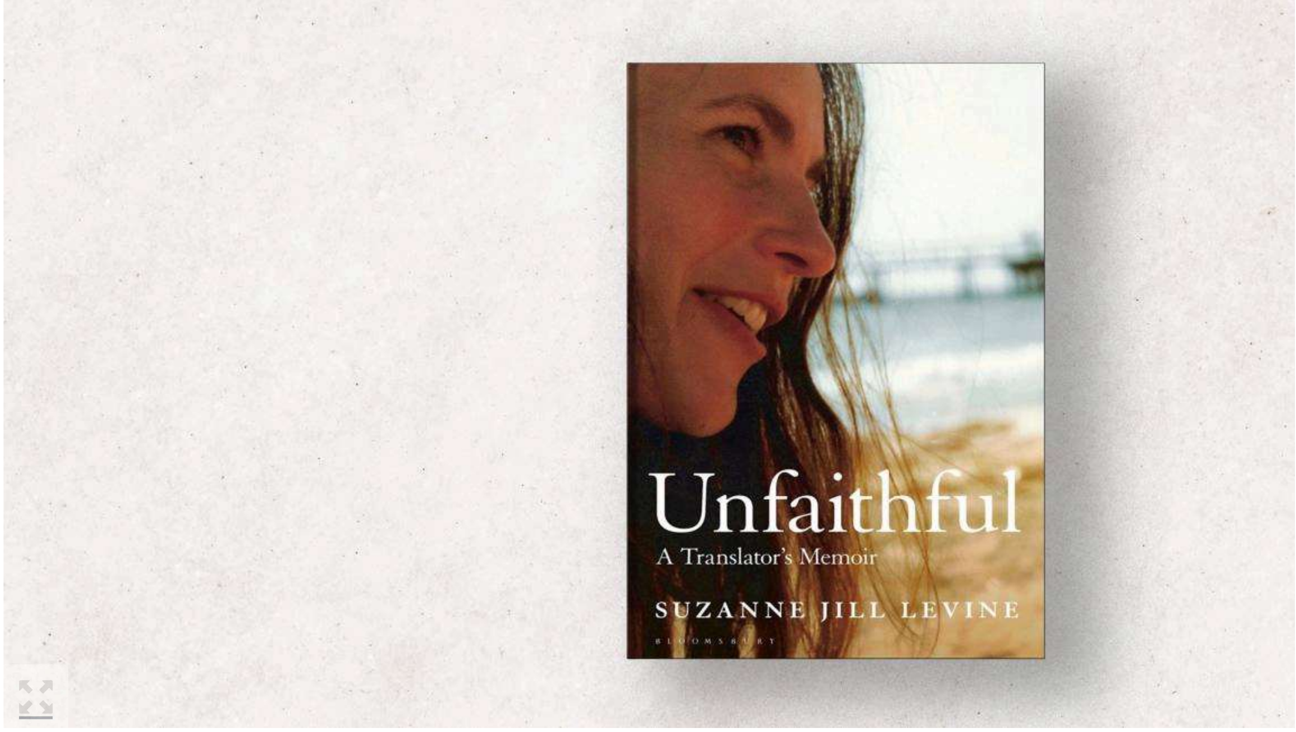

كشف عن طبقات من المعرفة لا تظهر في الخطاب التنظيري (تصميم: العربي الجديد)

تكشف المترجمة الأميركية سوزان جيل ليفين من خلال السيرة كيف تتشكّل الترجمة بوصفها فعل شغف يقود تدريجياً إلى المخاطرة. تبدأ الحكاية باللغة والمتعة، ثم تتطوّر إلى وعي بالاختيار، وتنتهي عند مواجهة النصوص الأكثر تعقيداً وصعوبة، وعند اتخاذ قرارات واعية بترجمة أعمال دون غيرها بدافع أدبي وأخلاقي في آن. هكذا، لا تظهر المصادفة في تجربة ليفين حادثاً عابراً، بل هي شرط تأسيسي لمسار مهني وجمالي، تتحوّل فيه الترجمة من فعل تلقائي إلى مسؤولية إبداعية كاملة، كما ترويه في كتابها "مذكرات مترجمة غير وفية" (بلومزبري، 2025)، الذي يكتسب أهمية خاصة كونه لا يقدّم دفاعاً نظرياً عن الترجمة، ولا بياناً منهجياً مغلقاً.

يمكن وصف هذا العمل بأنه كتاب المكاشفة، أو كتاب الترجمة لأجل المتعة الخالصة. وهذا، في جوهره، ما قد لا يفهمه كثيرون، غير أننا كلما أتيحت لنا فرصة الاطلاع على تجارب مترجمين آخرين، وجدنا أن الترجمة كثيراً ما تأتي بالمصادفة. فهي ليست خياراً واعياً يُقبل المترجم عليه منذ البداية، بل مسار يُؤخَذ به إليه، وما إن يمضي فيه حتى يغرق في جمالية لا رجعة منها.

> تضيء المؤلفة مراسلاتها مع فوينتس وحواراتها مع ماركيز

تجدر الإشارة إلى أن المقاطع التي تستعيد فيها سوزان جيل ليفين رحلاتها بين أوروبا ونيويورك، ولقاءاتها مع شخصيات محورية مثل الناقد والمحرر الأوروغوياني أمير رودريغيث مونيجال، أحد

غارسيا ماركيز الذي عرفته قبل نيله جائزة نوبل، لا تظهر في العمل بوصفها فصلاً مستقلاً أو وحدة سردية مغلقة، بل تتوزّع على نحو عضوي في القسم الأوسط من الكتاب.

هناك، تتشابك هذه المشاهد مع الفصول التي ترصد اندماج ليفين المبكر في شبكات ما يُعرف بـ "الطفرة الأدبية اللاتينية"، وانتقالها التدريجي من موقع الطالبة والقارئة إلى موقع المترجمة المنخرطة فعلياً في قلب المشهد الأدبي العالمي. وتتحوّل نيويورك وبرشلونة وباريس إلى عُقَد ثقافية تتشكّل فيها الترجمة بوصفها فعل عيش وتبادل، لا ممارسة لغوية معزولة، حيث تُدرج هذه اللقاءات لا بوصفها ذكريات شخصية أو استعراضاً لعلاقات ثقافية، بل باعتبارها جزءاً من تشكّل المترجمة داخل شبكة أدبية عابرة للغات والحدود، تُمارَس فيها الترجمة داخل الصالونات، والرحلات، والمراسلات، والمفاوضات الجمالية الدقيقة مع المؤلفين، في تماس مباشر مع السلطة، والصداقة، والاختلاف وحين تنقل ليفين مراسلاتها مع فوينتس حول كتابه أو حواراتها مع ماركيز عن فرجينيا وولف، تكشف عن بُعد غالباً ما تُهمّشه دراسات الترجمة النظرية: الترجمة بوصفها علاقة قوة، وثقة، وتأثير متبادل. فالمترجم ليس وسيطاً صامتاً، بل قارئ فاعل يترك أثره في النص، ويتأثر بدوره بسياقه الثقافي والأخلاقي.

سوزان جيل ليفين تلقي كلمة خلال حفل توزيع جوائز PEN America، نيويورك، 8 مايو 2025 (Getty)

وبهذا المعنى، تكتسب هذه السيرة أهمية خاصة داخل حقل دراسات الترجمة لأنها توسّع أفق هذا الحقل خارج حدوده النظرية الصارمة، وتنقل النقاش من مستوى المفاهيم إلى مستوى التجربة المَعِيشة. فقبل هذا الإصدار، أسهمت سوزان جيل ليفين في التفكير في الترجمة من خلال مؤلفات ودراسات تناولت فعل الترجمة بوصفه ممارسة ثقافية، غير أن هذا الكتاب يمنح السيرة موقعاً معرفياً كاملاً، ويقدّم تجربة المترجم بوصفها مصدراً لفهم آليات الترجمة، وحدودها وأسئلتها الأخلاقية والجمالية.

وتنبع قيمة هذا النوع من الكتب من قدرته على الكشف عن طبقات من المعرفة لا تظهر في الخطاب التنظيري المجرّد: فالمترجم، بحكم عمله، يعبر بين لغات متعددة، ويقيم داخل شبكات ثقافية واجتماعية متباينة، ويتفاعل مع أنماط تفكير وتاريخ وحساسيات لغوية مختلفة، ما يجعل خبرته تراكماً معرفياً يتجاوز النص الواحد ويصعب اختزاله في قرار ترجمي منفرد. من هنا، تبرز الحاجة إلى مزيد من هذه الأعمال التي تُنصت إلى صوت المترجم، لا بوصفه فاعلاً تقنياً، بل ذاتاً ثقافية تختبر العالم عبر الترجمة، وتعيد صياغة المعرفة الأدبية في فضاء لغوي جديد.

يناقش الكتاب الترجمة بوصفها علاقة قوة، وثقة، وتأثير متبادل

ويضيء هذا البعد العلاقي في سرد ليفين، من زاوية مختلفة، ما نظّر له لورنس فينوتي حول "لا مرئية المترجم" فبينما يشتغل فينوتي على مستوى الخطاب النقدي والمؤسسة الثقافية، كاشفاً عن هيمنة الطلاقة والتوطين في الثقافة الأنغلوـأميركية، تكشف ليفين، من خلال تجربتها الحية، كيف يُنتَج هذا الإخفاء أو يُقاوَم داخل العلاقات اليومية مع المؤلفين والناشرين. لا يقوم موقف سوزان جيل ليفين من "اللاوفاء" الذي هو عنوان السيرة، على معارضة ما نظّر له لورنس فينوتي، بل يلتقي معه من زاوية مختلفة في نقد مفهوم الأمانة التقليدي.

فبينما يوجّه فينوتي نقده إلى الترجمة الطليقة التي تُطَبِّع النص ثقافياً وتُخفي غرابته لإرضاء القارئ والسوق، تحذّر ليفين من الحرفية الجامدة التي تقتل الإيقاع وتفقد النص صوته باسم الوفاء. كلاهما يشكّك في الترجمة التي تبدو طبيعية أكثر من اللازم، ويرى فيها شكلاً من أشكال المحو، وإن اختلفت نقطة التركيز: فإذا كان فينوتي يخشى خيانة الاختلاف عبر الطلاقة، فإن ليفين تخشى خيانة الصوت عبر الحرفية؛ وكلاهما يقاوم شكلاً مختلفاً من المحو. يكتب فينوتي من موقع التنظير النقدي، مسائلاً المؤسسة الثقافية ومعايير القبول الأدبي، بينما تشتغل ليفين من داخل التجربة، حيث تُختبَر هذه الإشكاليات في لحظة الترجمة نفسها، وفي العلاقة مع النص والمؤلف. بهذا المعنى، لا يتعارض اللاوفاء في كتاب ليفين مع اللامرئية التي نظر لها فينوتي، بل تُجسّد أطروحته في الممارسة، وتُظهر أن الصراع الحقيقي في الترجمة ليس بين الأمانة والخيانة، بل بين نقلٍ يُبقي التوتر حياً وآخر يسعى إلى إلغائه.

وهذا يفضي بنا إلى أن العلاقة بين المؤلف والمترجم هي بحد ذاتها توتّر خَلّاق. فالمؤلف يدرك، وإن لم يُصرّح دائماً، أن الترجمة تمنح نصّه جناحين للحياة في لغة أخرى، لكنه في الوقت نفسه يحتفظ بامتياز الأصل، مستنداً إلى حقيقة لا يمكن إنكارها: لولا الكتابة الأولى لما وُجدت الترجمة.

هكذا يتشكّل ذلك الحيّز الغائم بين الإبداع والوساطة، حيث لا يعود السؤال: من هو الأجدر بالنص؟ بل كيف يولد النص مرّتين، وكيف يعيش في هذه الولادة الثانية مشروطاً بصوت آخر لا يقلّ إبداعاً. وفي هذه "الأرض المتنازع عليها" التي تظلّ مفتوحة فكرياً، تكتب سوزان جيل ليفين سيرتها لا دفاعاً

عن الترجمة، بل بوصفها اعترافاً بأن "اللا-إخلاص" كما تراه، ليس خيانة للنص، بل شرط بقائه حيّاً وقادراً على العبور.

* كاتبة ومترجمة سورية مقيمة في نيويورك

آداب

صدى الألم في الكتابة.. من ثربانتيس إلى أورويل

دلالات

الكتب الترجمة الكتابة ماركيز أميركا اللاتينية

المساهمون

الأكثر مشاهدة

1 مطاران سوريان يستعدان للإقلاع... آمال بإنهاء عزلة الشرق

2 رامز جلال في رمضان 2026... جمهور في المصيدة

3 الجزائر تتخلى عن التعويض والاعتذار وتتمسك باعتراف فرنسي بالاستعمار

المزيد في ثقافة

[محمد عبد الفتاح.. السينما البديلة في 5 بلدان عربية]

[نسخة كاملة من "كتاب الموتى" تُعرض لأول مرة في نيويورك]

[سالي روني: رفع الحظر عن "بالستاين أكشن" انتصار للحريات في بريطانيا]

اشترك في النشرة البريدية *

البريد الإلكتروني

اشترك الآن